

مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٦٤)

شرح الرسالة المفيدة المهمة الجليلة

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله



تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

شرح
الرسالة المفيدة المهمة الجليلة
للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

ح مركز عبدالعزيز الراجحي للإستشارات والدراسات، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله

شرح الرسالة المفيدة المهمة الجليلة . / عبدالعزيز عبدالله الراجحي –

الرياض، ١٤٣٨ هـ.

٥٢ص ، ١٤ X ٢٠ سم

ردمك ٧-٩-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد ٢- الشرك بالله ٣- العتق أ- العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٣٨/٦٤٣٠

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٦٤٣٠

ردمك: ٧-٩-٩٠٩٣٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

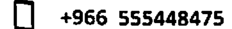
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية




+966 555448475

+966 535600668

0114455995 / Fax : Ext.108

info@mnaratt.com




http://shrajhi.com.sa/


@AlSheikhAlRajhi


@shrajhi



abdulaziz-alrajhi



مجموعة مؤلفات ورسائل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٦٤)

شرح الرسالة المفيدة المهمة الجليلة

للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

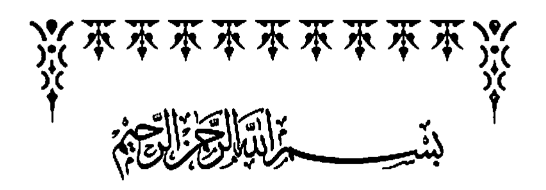
تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية


بسم الله الرحمن الرحيم



المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ﷺ كما نسبها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ﷺ كما في الدرر السنية[١]، وأيضا الشيخ محمد بن مانع ﷺ في تعليقه على الرسالة[٢]، وأسلوبه ليس ببعيد عن أسلوب شيخ الإسلام ﷺ، وهي مشتملة على أنواع التوحيد والشرك والنفاق، وكلها مأخوذة من الكتاب والسنة عن طريق الاستقراء والتتبع؛ وذلك لأجل الإيضاح والفهم وبيان الحكم لكل منها.

رحم الله الشيخ وأبناءه وأحفاده وتلاميذه، ورفع درجاتهم في عليين، وحشرنا معهم مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

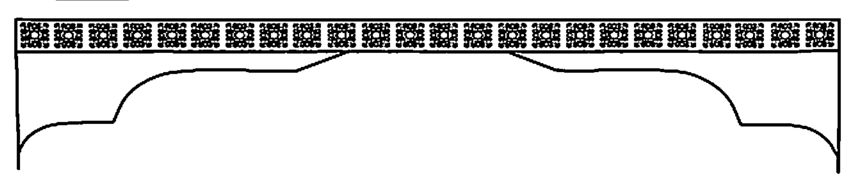
كتبه
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

---

(١) الدرر السنية (٦٦-٧٢).

(٢) الرسالة مطبوعة مع كشف الشبهات، بتعليق الشيخ: محمد بن مانع ﷺ، بدار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
وقد جعلت هي الأصل لمتن هذا الشرح.





قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد.

فاعلم أرشدك الله تعالى أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]».

الشرح

○ قوله: **«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى»** افتتح المؤلف رَحِمَهُ اللهُ هذه الرسالة بالبسملة ثم الحمد لله وهو الثناء عليه بصفاته الاختيارية، وهو أبلغ من المدح.

ثم السلام على عباد الله الذين اصطفاهم وهم الأنبياء وأتباعهم.

○ قوله: **«أما بعد»** يُؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، وتُقال في الخطب والرسائل[1].

(١) وقد عقد البخاري في «صحيحه» (١/ ٣١٢) بابًا في استحبابه، قال: باب «من قال في الخطبة بعد الثناء «أما بعد»»، وذكر فيه جملة من الأحاديث.

○ قوله: «**فاعلم**» أي: تيقَّنْ واجزِمْ.

○ قوله: «**أرشدك الله تعالى**» خبر بمعنى الدُّعاء، والمعنى: أسأل الله تعالى أن يُرْشِدَكَ، وهذا من نصح **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ، فهو يعلمك ويدعو لك.

○ قوله: «**أن الله خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» وفي هذا بيان الحكمة من خلق الثقلين الجنِّ والإنس، وأن الله تعالى لم يخلقهم عبثًا ولا سُدى ولا هملًا، لا يؤمرون ولا يُنْهَون في الدنيا ولا يجازون ولا يثابون ولا يعاقبون في الآخرة، بل خلقهم لحكمة عظيمة وهي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

○ قوله: «**قال الله تعالى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]» إذًا الحكمة من خلق الجنِّ والإنس عبادة الله.

وأيضًا من الحكمة: ابتلاء الناس واختبارهم أيُّهم أحسنُ عملًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢].

وأيضًا من الحكمة: أن يعلموا ربَّهُمْ بأسمائه وصفاته، ويعلموا أنه على كلِّ شيء قدير وأن علمه محيط بكلِّ شيء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]

○ قوله: «**والعبادة هي التوحيد**»، والعبادة لا تُسمَّى عبادة إلَّا مع التوحيد، والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، بمعنى: أنك تخصُّ الله بالعبادة فلا تعبد معه غيرَهُ.

وأصحُّ ما قيل في تعريف العبادة ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، **قال**: «هي اسم جامع لكلِّ ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال

والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحجُّ وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة»[١]، ففعل ما أمر الله تعالى به أو رسوله ﷺ أمر إيجاب أو استحباب عبادة، وترك ما نهى الله تعالى عنه أو رسوله ﷺ نهي تحريم أو كراهة عبادة.

○ قوله: «**لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه كما قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]» كلُّ رسول بعثه الله تعالى يدعو إلى التوحيد ويأمر قومه بأن يعبدوا الله ويجتنبوا الطاغوت.

قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني: وحِّدوا الله ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يعني: الكفر به.

والطاغوت صيغة مبالغة من الطُّغيان، وهو كلُّ ما تجاوز به العبد حدَّهُ مِنْ معبود أو متبوع أو مُطَاعٍ[٢].

ولا يكون العبد مُوحِّدًا إلَّا إذا عَبَد الله وكفر بالطاغوت؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والكفر بالطاغوت هو: اعتقاد بطلان عبادة كلِّ ما سوى الله، وتركها، وتكفير أهلها وبغضهم ومعاداتهم، فلا بُدَّ من أمور ثلاث: اعتقاد بطلان عبادة غير الله، وأن يتركها، وأن يُكفِّرَ من عبد غير الله

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٤٩).

(٢) انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٥٠).

ويعاديهم ويبغضهم، وبهذا يكون الإنسان قد كفر بالطاغوت.

فإذا اعتقد أنَّ عبادة كلِّ ما سوى الله باطلة، وتَرَكَ عباد غير الله وكَفَّرَ من عبد غير الله وعاداه وأبغضه فقد كفر بالطاغوت، ثم بعد ذلك يُوحِّدُ الله، فيكون قد اجتمع له أمران الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله وبذلك يكون مُوحِّدًا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

وليس هناك توحيد إلَّا بأمرين كفر بالطاغوت وإيمان بالله، وهذا هو معنى «لا إله إلَّا الله»؛ لأن معناها لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

«**لا إله**» نفيُّ كلِّ عبادة لغير الله والبراءة من كلِّ معبود سوى الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، «**إلَّا الله**» أي: عبادة الله، فلا بُدَّ من أمرين نفي وإثبات، فالنفي هو: الكفر بالطاغوت، والإثبات هو: الإيمان بالله.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبية فهو الذي أقرَّ به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحلَّ دماءهم وأموالهم، وهو توحيده بفعله تعالى.

والدليل: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، **والآيات على هذا كثيرة جدًّا أكثر من أن تُحْصَرَ وأشهر مِنْ أن تُذْكَرَ».**

الشَّرح

○ قوله: «وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات» وهذا التقسيم دلَّ عليه الاستقراء والتَّتبُّع، يعني: تتبَّع **العلماء** واستقرؤوا النصوص فتبيَّن لهم أن التوحيد ينقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة، وأدلة

ذلك واضحة في الكتاب والسُّنة.

○ قوله: «أما» النوع الأول فهو «توحيد الربوبية».

○ قوله: «فهو الذي أقرَّ به الكفار على زمن رسول الله ﷺ» ولم يُنْكِرُوه؛ فهو توحيد فطري فُطِرَ عليه الناس «ولم يُدْخِلْهُمْ في الإسلام».

○ قوله: «وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحلَّ دماءهم وأموالهم» لأنهم أشركوا في توحيد الألوهية والعبادة فعبدوا مع الله غيره.

وأنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، فلا بُدَّ للمسلم أن يُوحِّدَ الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، فإذا أقرَّ بواحد أو اثنين وأشرك في الثالث كان مُشْرِكًا، فلا ينفعه توحيد الربوبية وهو يشرك مع الله في الألوهية.

○ قوله: «وهو توحيده بفعله تعالى» أي: هو توحيد الله بأفعاله.

وأفعال الرب هي الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وإنزال المطر، وتيسير الأسباب إلى غير ذلك، فتُوحِّدُ الرَّبَّ بأفعاله بأن تعتقد أن الرَّبَّ هو الخالق، وأنه الرازق، وأنه المُدبِّرُ، وأنه المحيي، وأنه المميت، وأنه الرَّبُّ وغيره مربوب، وتعتقد أنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك وغيره مملوك، وأنه المُدبِّرُ وغير مُدبَّرٌ.

وسُمِّي توحيد الربوبية لأن الله هو الرَّبُّ، وهو سبحانه مُرْبِي الخلق وهو خالقهم.

○ قوله: «والدليل» أتى المؤلف رحمه الله بالأدلة على أن الكفار كانوا يُقِرُّون به: «قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]» يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الأوثانَ والأصنامَ

﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الغيثَ والقطرَ ويُطْلِعُ لكم شمسها ويُغْطِشُ ليلها ويُخْرِجُ ضحاها ومِنَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ أقواتكم وغذاءكم الذي يُنْبِتُهُ لكم وثمار أشجارها؟.

﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ يقول: أمْ مَنْ ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها أن يزيد في قُواها أو يَسْلُبَكموها فيجعلكم صُمًّا وأبصاركم التي تُبْصِرُون بها أن يُضِيئها لكم ويُنِيرها أو يذهب بنورها فيجعلكم عميًا لا تبصرون؟.

﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ يقول: ومَنْ يُخْرِجُ الشيء الحي من الميت؟ ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ يقول: ومَنْ يُخْرِجُ الشيء الميت من الحي؟

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ وقل لهم: «مَنْ يُدَبِّرُ أمر السماء والأرض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق؟».

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: فسوف يجيبونك بأن يقولوا «الذي يفعل ذلك كله الله».

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١] يقول: «أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادِّعائكم ربًا غير مَنْ هذه الصفة صفته وعبادتكم معه مَنْ لا يرزقكم شيئًا ولا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ولا يفعل فعلًا؟!»[(١)].

○ قوله: «﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]» يُقرِّرُ تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ١١٣، ١١٤).

والتصرف والمُلْكِ ليُرْشِدَ إلى أنه الذي لا إله إلا هو ولا تنبغي العبادة إلّا له وحده لا شريك له، ولهذا أمر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يقول ذلك للمشركين العابدين معه غيره، المعترفين له بالربوبية وأنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا، ولا يملكون شيئًا، ولا يستبدون بشيء بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] فقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ أي: مَنْ مالكها الذي خلقها ومَنْ فيها مِنَ الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾؟، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أي: لا تذكرون أنه لا تنبغي العبادة إلّا للخالق الرازق لا لغيره؟!

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ أي: مَنْ هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ومَنْ هو رَبُّ العرش العظيم ـ يعني: الذي هو سقف المخلوقات ـ؟

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: إذا كنتم تعترفون بأنه ربُّ السماوات وربُّ العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟!

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: بيده المُلْكُ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هُود: ٥٦] أي: متصرف فيها، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨] كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا فإنه لا يخفر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه؛ لئلا يفتات عليه، ولهذا قال

الله: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه، الذي له الخلق والأمر، ولا معقب لحكمه، الذي لا يمانع ولا يخالف، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ أي: سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له.

﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٩] أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك؟![١].

○ قوله: «**والآيات على هذا**» أي: في إثبات توحيد الربوبية وأن الكفار على زمن رسول الله ﷺ كانوا يُقِرُّون بذلك «**كثيرة جدًّا**».

منها: قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، فهم يُقِرُّون بكلِّ هذا.

○ قوله: «**أكثر من أن تُحْصَرَ**» فلا يمكن حصرها لكثرتها.

○ قوله: «**وأشهر مِنْ أن تُذْكَرَ**» فهي لشهرتها معروفة لكلِّ أحد.



(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٣، ٢٥٤).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما الثاني - وهو توحيد الألوهية - فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالدُّعاء، والنَّذر، والنَّحر، والرَّجاء، والخوف، والتَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، والإنابة.

ودليل الدُّعاء: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، وكلُّ نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

وأصل العبادة: تجريد الإخلاص لله وحده وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]، والآيات معلومات، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]».

الشَّرح

○ قوله: «وأما الثاني» من أنواع التوحيد الثلاثة «- وهو توحيد الألوهية -»، ويقال له توحيد العبادة والمألوه والمعبود، والله تعالى هو

المألوه، وهو الإله، وهو المعبود بالحقِّ.

○ قوله: «**فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه**» أي: هذا النوع هو الذي وقع فيه النزاع بين الأنبياء والرُّسل وقومهم؛ لأن **توحيد الرُّبوبية** أمر فطري لم ينازع الناس فيه بل يُقِرُّون به وكذلك **توحيد الأسماء والصفات**، ولكن **توحيد الألوهية** هو الذي وقع فيه النزاع.

فنازع قوم نوح نوحًا عليه السلام، قالوا: «نعبد الله ونعبد الصالحين»، وقوم هود عليه السلام كذلك نازعوه، وكذلك قوم صالح وإبراهيم وموسى عليهم السلام.

ونازع كفار قريش نبينا محمد ﷺ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالُوا: «يَا أَبَا طَالِبٍ، ابْنُ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلِهَتَنَا، يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ»، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ قُرْبَ أَبِي طَالِبٍ مَوْضِعُ رَجُلٍ فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَمِّهِ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا إِلَّا عِنْدَ الْبَابِ فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ»، فَقَالَ: «**يَا عَمِّ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ**»، قَالُوا: «وَمَا هِيَ؟، نَعَمْ وَأَبِيكَ» عَشْرًا، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، قَالَ: فَقَامُوا وَهُمْ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى بَلَغَ ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾ [ص: ٨][(١)]، وهو وإن كان ضعيفًا[(٢)] لكن معناه

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة ص»، رقم (٣٢٣٢)، وأحمد (١/ ٣٦٢) ـ واللفظ له ـ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) هو عند أحمد من طريق الأعمش، قال: حدثنا عباد بن جعفر، وعند الترمذي: عن الأعمش، عن يحيى ـ قال عبد: هو ابن عباد ـ، كلاهما عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. =

صحيح، فهم يعرفون أن معنى «لا إله إلَّا الله» ترك الأصنام والأوثان والتَّقرُّب لغير الله؛ لأنهم عرب يعرفون معاني الكلمات.

وكثير من الجاهلين في هذا الزمن لا يعرفون معنى «لا إله إلَّا الله»، فتجده يقولها ويطوف حول القبر، يقولها بلسانه وينقضها بأفعاله فيذبح لغير الله، ويطلب المدد من غيره، حتى وجدتُ بعض الناس يطوف بالبيت وبدلًا من أن يقول «يا الله» يقول: «يا رسول الله، يا رسول الله» نَسِيَ رَبَّهُ ـ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ـ، ولهذا يقول **المؤلف** ﷺ في «كشف الشبهات»[1]: «فلا خير في رجل جُهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى «لا إله إلَّا الله» أي: أن جُهَّال المشركين يعرفون معنى «لا إله إلَّا الله» وكثير من الناس لا يعرفون معناها، فإن مَنْ قال «لا إله إلَّا الله» ثم سبَّ الله أو رسوله ﷺ، أو قال: «مدد يا بدوي»، «مدد يا رسول الله»، «مدد يا دسوقي»، أو ذبح للرسول ﷺ أو للنجم أو للقمر أو للدسوقي أو لعبد القادر الجيلاني أو للحسين أو غيرهم، أو طاف بقبر تقرُّبًا إليه بطل قوله «لا إله إلَّا الله» مثل نواقض الوضوء، فلا بُدَّ أن تقول «لا إله إلَّا الله» بلسانك وتعتقد معناها بقلبك وتبتعد عما يناقضها؛ فالتوحيد له نواقض كما للوضوء نواقض، فإن مَنْ توضَّأ وأحسن الطهارة ثم خرج منه بول أو غائط أو ريح تبطل طهارته؛ فقد انتقضت بالحدث.

= وعباد بن جعفر هو يحيى بن عمارة.

قال ابن حجر: «يحيى بن عمارة، ويقال: ابن عباد، وقيل: عبادة كوفي، روى عن ابن عباس قصة موت أبي طالب، وعنه الأعمش، ذكره ابن حبان في «الثقات».

قلت: وجزم بكونه يحيى بن عمارة، وكذا البخاري ويعقوب بن شيبة». «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٢٧).

فلم يروِ عنه غير الأعمش، ولم يوثقه غير ابن حبان، فهو في عداد المجاهيل، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

(١) «كشف الشبهات» (ص ١٥٨).

○ قوله: «وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد» توحيده بأفعالك أنت أيها العبد.

فالأول: **توحيد الربوبية**، وهو توحيد الله بأفعاله، من الخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وذلك باعتقاد أن الله تعالى هو الفاعل لذلك.

والثاني: **توحيد العبادة بالعكس**، فهو: توحيد الله بأفعالك أنت.

○ قوله: «كالدُّعاء، والنَّذر، والنَّحر، والرَّجاء، والخوف، والتَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، والإنابة» والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والاستعاذة، والاستغاثة، كلُّ هذه العبادات تصرفها لله، فإذا صرفتها لغيره وقعت في الشِّرك.

فلا بُدَّ من توحيد الله، بإفراده سبحانه بهذه العبادة، فلا تدعو إلَّا الله، ولا تذبح إلَّا له، ولا تنذر إلَّا له، ولا تخاف إلَّا منه، ولا ترجو إلَّا الله، ولا تتوكل إلَّا عليه، ولا تستعذ إلَّا به، ولا تستغيث إلَّا به، وهكذا جميع أنواع العبادة فبذلك تكون مُوحِّدًا.

وأتى **المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأدلة على هذا.

○ قوله: «ودليل الدُّعاء: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]»، قوله ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ﴾ هذا أمر، والدُّعاء عبادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فسَمَّاهُ الله عبادة.

○ قوله: «وكلُّ نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن» دليل **النَّذر**: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]

ودليل النَّحر: قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢].

ودليل الرَّجاء: قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ودليل الخوف: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ودليل التَّوكُّل: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

ودليل الرَّغبة والرَّهبة: قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ودليل الإنابة: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

○ قوله: «**وأصل العبادة: تجريد الإخلاص لله وحده**» تُجَرِّدُهُ أي: تُبْعِدُ عنه ما ينافيه، فيكون مُجَرَّدًا خالصًا ليس معه غيره.

○ قوله: «**وتجريد المتابعة للرسول ﷺ**» أي: تخصُّ المتابعة بالرسول ﷺ فلا تتابع غيره من العباد.

وتجريد الإخلاص لله تعالى وتجريد المتابعة للرسول ﷺ أصل الإيمان.

○ قوله: «**قال تعالى**: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]» و﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكرة في سياق النهي، وعند **أهل الأصول** أن النكرة في سياق النهي أو النفي أو الشرط عامَّةٌ[(١)].

○ قوله: «**وقال تعالى**: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]» فالتوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب هو إفراد الله بالعبادة وهو أول دعوة الرسل وآخرها وأول منازل الطريق.

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]» فالدعاء يختصُّ به ﷻ، ثم قال: ﴿وَمَا دُعَآءُ

(١) انظر: شرح «الكوكب المنير» للفتوحي (٣/ ١٣٧).

ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾.

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢]» فالله هو الحقُّ وكلُّ مَدْعُوٍّ من دونه هو الباطل، «والآيات معلومات».

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]» فيها ترغيب في المتابعة للرسول ﷺ.

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]» وفي هذا ذكر علامة محبة الله تعالى.

فعلامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ، فإنه لَمَّا ادَّعى قوم محبة الله امتحنهم الله بهذه الآية، فذلك تُسمَّى «آية المحنة»(١)، إذا كنتَ تتَّبع الرسول ﷺ فأنت صادق في دعواك للمحبة، وإن كنت لا تتبعه فأنت كاذب في دعواك لها.



(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٢٢).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما الثالث: فهو توحيد الذَّات والأسماء والصفات.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]».

الشَّرح

○ قوله: «وأما» النوع «الثالث: فهو توحيد الذات والأسماء والصفات» توحيد الذَّات يعني: أن تُوحِّدَ الله وتعتقد أنَّه ليس له مثيل في ذاته ولا تُمثِّله بشيء من الأشياء، وأنه ليس له مثيل في أسمائه ولا صفاته، فللَّه ذات لا تُشْبِهُ الذوات، وله أسماء لا تُشْبِهُ الأسماء، وله صفات لا تُشْبِهُ الصفات.

○ قوله: «قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]» هذه سورة الإخلاص، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ

كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾[(١)].

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ أي: واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ أي: السَّيِّد الذي كَمُلَ سؤدده وتصمد إليه الخلائق في حوائجها، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ أي: ليس له فرع ولا أصل، وليس له ولد ولا والد، لم يتفرع منه شيء ولم يتفرع عن شيء، فهو واجب الوجود بذاته، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤] يعني: ليس له مثيل، فهذه صفته ﷻ.

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]» قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني: بالغة الكمال في الحُسْنِ، ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ أي: توسلوا إليه بها، ﴿وَذَرُوا۟﴾ أي: اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ أي: الذين يميلون بها عن الحقِّ بأن يُنْكِرُونها ويجحدونها، أو يؤوِّلونها بتأويلات باطلة، أو يُفسِّرُونها بتفسيرات فاسدة، أو يشتقون منها أسماء الأصنام إلى غير ذلك، ثم توعَّدهم ﷻ فقال: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

○ قوله: «وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]» ليس له ﷻ مثيل وهو السميع البصير.

وفي الآية ردٌّ على طائفتين، فقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ ردٌّ على الممثِّلة الذين شَبَّهُوا أسماء الله ومثَّلُوا صفات الله بأسماء خلقه

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الإخلاص»، رقم (٣٣٦٤)، وأحمد (٥/ ١٣٣) ـ واللفظ له ـ.

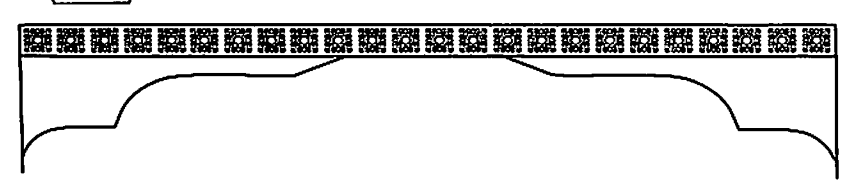
وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة الإخلاص»، رقم (٣٣٦٥) من وجه آخر عن أبي العالية مرسلًا، وقال: «هذا أصح».

وصحَّحَ الموصولَ ابن خزيمة والحاكم. «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٧٣٩).

وصفاتهم، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] ردٌّ على **المعطِّلة** الذين انكروا الأسماء والصفات[1].



(١) انظر: «الجواب الصحيح» لابن تيمية (٤/٤٠٦).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم اعلم أن ضد التوحيد الشِّرك.

وهو ثلاثة أنواع:

شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشِّرك الأكبر: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦]، ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]».

الشَّرح

○ قوله: «ثم اعلم أن ضد التوحيد الشِّرك.

وهو ثلاثة أنواع:

شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي» الشرك في الحقيقة يرجع إلى نوعين: شرك أكبر وشرك أصغر؛ لأن الشِّرك الخفي ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر، وسُمِيَّ شرك خفي لأنه يقع في القلوب خفيًا.

فالشِّرك نوعان: أصغر وأكبر، **والأكبر** نوعان: إما خفي وإما ظاهر، **والأصغر** نوعان: إما خفي وإما ظاهر.

والفرق بين الشِّرك الأكبر والشِّرك الأصغر:

١- **أن الشِّرك الأكبر يُخْرِجُ مِنْ مِلَّةِ الإسلام، والشِّرك الأصغر لا**

يُخرِجُ مِنْها.

٢- **أن الشِّرك الأكبر** لا يغفره الله، **والشِّرك الأصغر** يدخل تحت الموازنة بين الحسنات والسيئات، فإذا كانت الحسنات راجحة سقط الشِّرك، وإذا رجحت السيئات يُعَذَّبُ بهذا الشِّرك ثم يخرج.

٣- **أن الشِّرك الأكبر** يُخَلِّدُ صاحبه في النار، **والشِّرك الأصغر** لا يُخَلِّدُ صاحبه فيها.

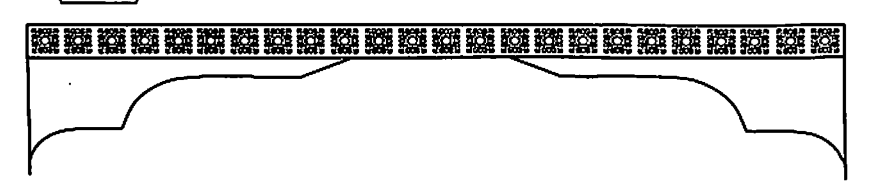
٤- **أن الشِّرك الأكبر** يُحْبِطُ جميع الأعمال، **والشِّرك الأصغر** يُحْبِطُ العمل الذي قارنه فقط.

○ قوله: «**والدليل على الشِّرك الأكبر**» وان الله لا يغفره: «**قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]» فهذا دليل على أن الشِّرك الأكبر لا يغفره الله تعالى، وهذا هو الحكم الأول فيه.

الحكم الثاني: أن الجنة حرام على صاحب **الشِّرك الأكبر**، والدليل قوله تعالى «﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]».

الحكم الثالث: أن الشِّرك الأكبر يُحْبِطُ جميع الأعمال، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

❁ ❁ ❁



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدَّعوة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

النوع الثاني: شرك النِّيَّةِ والإرادة والقصد.

والدليل: قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦].

النوع الثالث: شرك الطَّاعة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعُبَّادِ في المعصية لا دعاؤهم إياهم كما فَسَّرَهَا النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: «لسنا نعبدهم»، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]».

الشَّرح

○ قوله: «وهو» أي: **الشِّرك الأكبر** «أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدَّعوة» وهو دعوة غير الله.

والمراد بالدعوة: الدُّعاء، أي: دعاء غير الله، كأن يدعو الميتَ أو يدعو الحي الحاضر فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، كأن يقول: «يا رسول الله أغثني»، «يا رسول الله فَرِّجْ كربتي»، كما يقول بعض الزوار: «يا رسول الله جئتك من بلاد بعيدة فلا تخيب رجائي، أنا في حسبك، أنا في جوارك»، أو يقول: «مدد يا رسول الله»، أو «مدد يا حسين»، أو «مدد يا عبدالقادر الجيلاني»، أو «مدد يا بدوي»، أو «مدد يا دسوقي»، أو «مدد يا ابن علوان، فَرِّجْ كربتي»، وكما يقول بعض الشيعة يدعون الحسين والمهدي المنتظر: «أدرك أدرك»، كلُّ هذا من أنواع الشرك، وكذلك إذا دعا الميت مِنْ دون الله بأن طلب منه المدد أو تفريج الكُرُبات أو إغاثة اللهفات أو الشفاعة صار مُشْرِكًا، حتى ولو طلب ذلك من الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فهو ﷺ نبي كريم يُطاع ويُتَّبع، لكن لا يُعْبَدُ؛ فالعبادة حقُّ الله، فالله تعالى له حقٌّ وهو العبادة ولا يرضى أن يشركه أحد في عبادته، والرسول ﷺ له حقٌّ وهو الطاعة والاتباع والمحبة والعبادة لله بما شرعه، والمؤمنون لهم حقٌّ وهو تقديرهم واحترامهم وإعطائهم حقوقهم والاقتداء بهم في الخصال الحميدة والأعمال الصالحة، فلا تخلطْ بين الحقوق وأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

فإن من صرف العبادة للرسول عليه الصَّلاة والسَّلام أو غيرَهُ صار مُشْرِكًا، وإذا مات على ذلك صار من أهل النار.

أما دعاء الحاضر الحي فيما يقدر عليه فلا بأس، كأن تقول: «يا فلان اقرضني مالًا» أو «ساعدني في إصلاح سيارتي أو منزلي» أو غريق غرق في البحر فينادي صيادًا يستطيع السباحة يقول له: «أغثني» فهذا ليس بشرك ولا بأس به؛ فهذا حي حاضر وأسبابه ظاهرة.

لكن يدعو ميتًا ليس معه أسباب أو يدعو غائبًا لا يسمع فهذا شرك، لكن إذا كان غائبًا واتصل بالهاتف وقال: «أعطني قرضًا» أو «اشفع لي» فلا بأس؛ لأنه يعتبر حاضر، لكن دعاء الميت أو الغائب الذي لا يمكن سماعه، أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهذا هو الشِّرك.

إذًا الدعاء يكون شركًا ولا يكون شركًا، فيكون **شركًا** إذا كان المدعو ميتًا أو غائبًا أو حيًّا حاضرًا والمدعو به لا يقدر عليه إلَّا الله، ويكون **جائزًا** بثلاثة شروط إذا كان المدعو حيًّا حاضرًا قادرًا.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**» عن المشركين «﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العَنكبوت: ٦٥]» إذا ركب **المشركون** البحر في السفينة اخلصوا، وقالوا: «يا الله»، فإذا نزلوا في البرِّ وسَلِمُوا قالوا: «يا علي»، أو «يا حسين»، أو «يا فلان» وعبدوا غير الله، فإذا رَكِبُوا في الفلك وحَّدُوا الله وإذا نجاهم الله إلى البرِّ أشركوا معه غيره.

ومِنها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسَمَّاهُ الله كافرًا، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤].

○ قوله: «**النوع الثاني: شرك النِّيَّةِ والإرادة والقصد**» وينقسم إلى نوعين: أكبر وأصغر.

النوع الأول: شرك النِّيَّةِ والإرادة والقصد الأكبر كما صدر من المنافقين، فقد دخل المنافقون الإسلام يراؤون الناس فنيتهم لغير الله، فهم دخلوا في الإسلام وقلوبهم مُكَذِّبَة مُنْكِرَة، فهذا **شرك أكبر**، فهم يصلون ويصومون ويُظْهِرُون الإسلام وهم مُكَذِّبون في الباطن، فهم يراؤون في أصل الإسلام وقصدهم غير الله، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨]، قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ بألسنتهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ بقلوبهم، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١].

النوع الثاني: شرك النِّيَّةِ والإرادة والقصد الأصغر، وهو الذي يصدر من المسلم في صلاته أو صيامه أو عبادته، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: «وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟»، قَالَ: «**الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!**»[1]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**»، قَالَ: قُلْنَا: «بَلَى»، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨).
قال المنذري: «رواه أحمد بإسناد جيد». «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٤).
وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب «الرياء والسمعة»، رقم (٤٢٠٤)، وأحمد (٣/ ٣٠).
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». «المستدرك» (٤/ ٣٦٥).

مثاله: يصلي مسلم لله، ولمَّا جاء بجانبه مَنْ له مكانته صار يُحَسِّنُ قراءته أو يطمئن في الصلاة أو يتم الركوع أو السجود؛ لأجل هذا الرجل الذي يراه، فوقع في الشِّرك الأصغر، وتقدَّم أن **الشِّرك الأصغر** يُحْبِطُ العمل الذي قارنه.

وإذا طرأ **الشِّرك الأصغر** على الإنسان ثم دافعه واستعاذ بالله من الشيطان فلا يضره، فإن استمر معه الرياء إلى آخر صلاته فقيل: تبطل الصلاة، **وقيل**: يجازى بنيته الأولى[1].

إذًا شرك النِّيَّة والإرادة والقصد يكون أكبر وهو الذي يصدر من المنافقين، ويكون أصغر وهو الذي يصدر من المؤمن في الصلاة وغيرها.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦]» بَيَّنَ الله تعالى أنه يُحْبِطُ الأعمال، وذلك إذا كان في أصل الإسلام مثل المنافق، وأما إن صدر من المسلم فيكون شركًا أصغر.

○ قوله: «**النوع الثالث: شرك الطَّاعة**» والمراد به: شرك الطاعة في التحليل والتحريم، كأن يُحِلُّ له الزنا فيعتقد حِلَّهُ، أو يُحِلُّ له شُرْبَ الخمر فيعتقد حِلَّهُ، أو يُحِلُّ له الرِّبا فيعتقد حِلَّهُ.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعُبَّادِ في المعصية لا

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ١٨١، ١٨٢).

دعاؤهم إياهم كما فَسَّرَهَا النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله، فقال: «لسنا نعبدهم»، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية» عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(١).

○ قوله: «النوع الرابع: شرك المحبة» والمراد: محبة العبادة التي فيها خضوع وذُلٌّ وتعظيم، وتقتضي الطَّاعة والامتثال، ولا يجتمع الأمران إلَّا فيها؛ لأن الإنسان إذا أحب شخصًا ولم يذل ويخضع له لم تكن عبادة، كما يحب المال والصديق، وإذا ذلَّ وخضع له ـ كما يخضع لسلطان أو أمير ظالم ـ لكنه لا يحبه لم تكن له عبادة، فإذا اجتمع الأمران محبة وخضوع وذلٌّ فهي العبادة كما قال العلَّامة ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حُبِّهِ ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائرٌ ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان(٢)

وهذه المحبة هي التي اقتضت تسوية آلهة المشركين بربِّ العالمين، فسوَّوا آلهتهم بالله فأدخلهم الله النار كما قال الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٨]، يقول بعضهم لبعض وهم في النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب «ومن سورة التوبة»، رقم (٣٠٩٥).
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلَّا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

(٢) نونية ابن القيم (ص ٣٥).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ سووهم بالله تعالى في المحبة والتعظيم والإجلال، ولم يسووهم في الخلق والرزق والإماتة.

ومِنَ المحبة ما ليس شركًا، منها : المحبة الطبيعية كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء.

ومنها : محبة الرحمة والإشفاق كمحبة الوالد لولده.

ومنها : محبة الإجلال والتقدير والاحترام كمحبة الولد لأبيه.

ومنها : محبة الأُنس والأُلفة كمحبة الشريكين في تجارة أو صناعة.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]» يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ يعني: أمثالًا ونُظَراء ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة أهل الأنداد لأندادهم؛ لأن محبة المؤمنين خالصة لله ومحبة أهل الأنداد مشتركة، **وقيل**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من محبة أهل الأنداد لله؛ لأنهم يحبون الله، لكن محبتهم مشتركة بخلاف المؤمنين فإن محبتهم خالصة.

ذكر **المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ أن الشِّرك الأكبر أربعة أنواع، شرك الدَّعوة، وشرك النِّيَّة والإرادة والقصد، وشرك الطَّاعة، وشرك المحبة، وهذه أهم الأنواع المنتشرة، وإلَّا فإنَّ هناك أنواع أخرى غيرها، كشرك السجود لغير الله والركوع لغيره، وكالشِّرك الذي يقع من **بعض الصوفية** مِنْ حلق الرأس تعبُّدًا للشيخ وتقرُّبًا إليه، وهناك التوبة لغير الله **كالنصارى** الذين يتوبون للقسيس، وكذلك عند **بعض الشيعة** الذين يتوبون إلى رئيسهم، فكُلٌّ هذا من أنواع الشِّرك، فهو أنواع كثيرة.

❁ ❁ ❁

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«والنوع الثاني: شرك أصغر، وهو الرِّياء.

والدليل: قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]».

الشَّرْح

○ قوله: «والنوع الثاني: شرك أصغر» وهو ما ورد تسميته شركًا في النصوص ولم يَصِلْ إلى حدِّ الشِّرك الأكبر؛ لأنه ليس شركًا في العبادة ولا ناقضًا من نواقض الإسلام، وإنما هي معصية ووسيلة إلى الشِّرك الأكبر.

○ قوله: «وهو الرِّياء» وهو ما يقوم في القلوب.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟»، قَالَ: قُلْنَا: «بَلَى»، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[1]، فيُحَسِّنُ صلاته وقراءته مِنْ أجل الناس.

وفي «الصحيحين»[2] عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِاللهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب «الرياء والسمعة»، رقم (٦٤٩٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٨٧).

وذكر **المؤلف** رحمه الله الرياء مثالًا وليس المراد الحصر؛ فمن **الشِّرك الأصغر**: الحلف بغير الله كالحلف بـ «حياة بالنبي» أو «بلحيتك» أو «بشرفك»، وكذا قول «ما شاء الله وشئتَ» و «لولا الله وفلان» و«ما لي إلَّا الله وأنت»، وكذا قول «مُطِرنا بنوء كذا» وهو يعتقد أن النجم سبب في المطر، وكذا تعليق التمائم والحروز واعتقاده فيها، فهذه كلها من أنواع **الشِّرك الأصغر**.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]» والعمل الذي ليس فيه شرك هو الخالص لله تعالى.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

والنوع الثالث: شرك خفي.

والدليل عليه: قوله ﷺ «الشّرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السّوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل».

وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»».

الشَّرح

○ قوله: «والنوع الثالث: شرك خفي» تقدَّم أن الشِّرك الخفي يكون أصغر وأكبر، **والأكبر** هو الذي يصدر من المنافقين الذين دخلوا في الإسلام رياءًا، لكن **المؤلف** رحمه الله أراد هنا **الشِّرك الأصغر**.

○ قوله: «**والدليل عليه: قوله ﷺ «الشِّرك في هذه الأمة**» يعني: الشِّرك الأصغر «**أخفى من دبيب النملة السَّوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل**» كما عند الحاكم في «المستدرك»[1] من حديث عائشة رضي الله عنها.

---

(١) «المستدرك» (٢/٣١٩) من طريق عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقال العقيلي: «عبدالأعلى بن أعين عن يحيى بن أبي كثير جاء بأحاديث منكرة ليس منها شيء محفوظ»، ثم أخرج حديث عائشة رضي الله عنها، ثم قال: «ولا يتابع عليه، ولا يعرف إلَّا به، وعبد الأعلى بن أعين هذا حَدَّثَ عن يحيى بن أبي كثير بغير حديث منكر لا أصل له». «ضعفاء العقيلي» (٣/ ٦٠).

=

○ قوله: «وكفارته قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»» أخرج البخاري في «الأدب المفرد»(١) عن ليث قال: أخبرني رجل من أهل البصرة قال: سمعت معقل بن يسار يقول: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: «يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل»، فقال أبو بكر: «وهل الشِّرك إلَّا مَنْ جعل مع الله إلهًا آخر؟»، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من دبيب النمل، ألَا أَدُلُّكَ على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟»، قال: «قل: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»».



= وقال ابن حبان: «عبدالأعلى بن أعين يروي عن يحيى بن أبي كثير ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به بحال». «المجروحين» (٢/ ١٥٦).

وقال الدارقطني: «وعبدالأعلى بن أعين ضعيف الحديث، والحديث غير ثابت». «علل الدارقطني» (١٤/ ١٩٢).

وقال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح».

(١) «الأدب المفرد» رقم (٧١٦).

قال ابن حجر: «ليث ضعيف؛ لسوء حفظه واختلاطه، وشيخه مبهم». «المطالب العالية» (١٣/ ٤١٨).

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالكفر كفران:

كفرٌ يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التَّكذيب.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

النوع الثالث: كفر الشَّكِّ، وهو كفر الظَّنِّ.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨].

النوع الرابع: كفر الإعراض.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣].

النوع الخامس: كفر النِّفاق.

والدليل: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣]».

الشَّرْح

○ قوله: «**فالكفر كفران**» كفر أكبر يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، **وكفر أصغر لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ.**

○ قوله: «**كفرٌ يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وهو خمسة أنواع:**

النوع الأول: كفر التَّكذيب» كأن يُكَذِّبُ الله في خبره بأنه أرسل محمدًا ﷺ، أو يُكَذِّبُ الرسول ﷺ في خبره فيكون كافرًا بهذا التَّكذيب.

ويدخل في هذا التَّكذيب: التَّكذيب بكتاب من الكُتُبِ، أو برسول من الرُّسُلِ، أو بالبعث، أو بالجزاء والحساب، أو بالجنة، أو بالنار، أو بأمر معلوم من الدين بالضرورة كأن يُكَذِّب بوجوب الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو بتحريم الرِّبا أو الزنا أو الخمر أو عقوق الوالدين فيكون كافرا كفرًا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ ـ نسأل الله السَّلامة والعافية ـ.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨]»

○ قوله: «**النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصدِيق**» النوع الأول صاحبه مُكَذِّبٌ، وهذا النوع صاحبه مُصَدِّقٌ لكن كفره بسبب الرفض والإباء، يرفض الشريعة فيرفض أمر الله وأمر رسوله ﷺ فلا يقبلهما فيكون كافرًا بهذا الرفض والإباء والاستكبار ولو كان مُصدِّقًا.

○ قوله: «**والدليل: قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤]» فكفر إبليس كان بالإباء والاستكبار مع أنه عارف ربه بقلبه ولسانه.

وكذا كفر فرعون؛ فقد كان بالإباء والاستكبار، فقد أخبر الله تعالى عن موسى عليه الصَّلاة والسَّلام أنه قال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وكذلك كفر اليهود فإنهم كَذَّبُوا الرسول ﷺ إباء واستكبارًا، وكذلك كان كفر أبي طالب بالإباء والاستكبار؛ فقد استفاض عنه أنه كان يعلم بنبوة محمد ﷺ وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا[1]

○ قوله: «**النوع الثالث: كفر الشَّكِّ، وهو كفر الظَّنِّ**» وهو أن يَشُكَّ في أمر معلوم من الدين بالضرورة، كأن يَشُكَّ في قيام الساعة.

○ قوله: «**والدليل : قوله تعالى**: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: ٣٥-٣٨]» قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ قيل: أخذ بيد أخيه المؤمن يطيف به فيها ويُرِيه إياها ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: بكفره، وهو جملة في موضع الحال، ومَنْ أدخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه، ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ أنكر فناء الدنيا ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: لا أحسب البعث كائنًا ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي : وإن كان بعثٌ فكما أعطاني هذه النِّعم في الدنيا فسيعطيني أفضل منه؛ لكرامتي عليه، وهو معنى قوله ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ وإنما قال ذلك لمَّا دعاه أخوه إلى الإيمان بالحشر والنشر[2].

فمَنْ شَكَّ في قيام الساعة أو ربوبية الله تعالى أو ألوهيته أو في اسم من أسمائه أو في ملك من الملائكة أو في البعث أو الجنة أو

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٦١).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٤٠٤).

النار أو الحساب والجزاء فإنه يكفر بهذا الشَّكِّ.

○ قوله: «النوع الرابع: كفر الإعراض» وهو أن يُعْرِضَ عن دين الله فلا يتعلَّمه ولا يعبد الله فيكون مُعْرِضًا عن العلم والعمل فيكون كافرًا بهذا الإعراض ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

○ قوله: «والدليل: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف: ٣]» فإذا ترك ما أمر الله به، وامر به رسوله ﷺ صار معرضا، والمعرض كافر.

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾ [السَّجدَة: ٢٢].

○ قوله: «النوع الخامس: كفر النِّفاق» وهو أن يُظْهِرَ الإسلام ويُبْطِنَ الكفر، في باطنه الكفر وظاهره فيه الإسلام، وهذا يُسمَّى منافقًا، وهذا هو كفر النِّفاق، وهو من أشدِّها.

والمنافقون في الدَّرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ [النِّساء: ١٤٥].

○ قوله: «والدليل: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ [المنافقون: ٣]» فلما كفروا بعد وضوح الحق عوقبوا بأن طبع الله على قلوبهم.



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

«وكفر أصغر لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وهو كفر النِّعْمَةِ.

والدليل: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]».

الشَّرْح

○ قوله: «وكفر أصغر لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ» فالكفر الأصغر لا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، وهو كلُّ ذنب سُمِّيَ في النصوص كفرًا ولم يَصِلْ إلى حدِّ الشِّرك الأكبر، فليس شركًا في العبادة ولا ناقضًا من نواقض الإسلام.

○ قوله: «وهو» مثل «كفر النِّعْمَةِ» يعني: جحد النِّعْمَةِ.

○ قوله: «والدليل: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾» ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أي: جحدت آلاء الله عليها، وأعظمها بعثة محمد ﷺ إليهم[(١)].

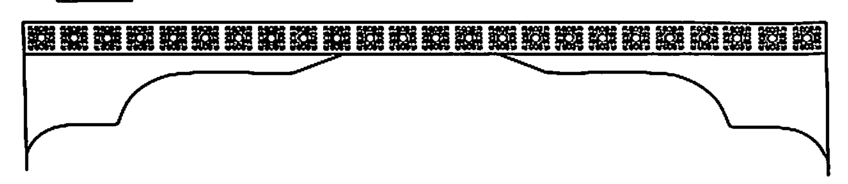
ومثال ذلك أيضًا: الطعن بالأنساب والنياحة على الميت؛ روى مسلم في «صحيحه»[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

وله أمثلة كثيرة، وقد مَثَّلَ المؤلف رحمه الله له بكفر النِّعْمَة.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٦٧).



قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأما النِّفاق فنوعان: اعتقادي وعملي.

وأما الاعتقادي فهو ستة أنواع:

تكذيب الرسول ﷺ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، [أو بغض الرسول، او بغض ما جاء به الرسول][١] أو المَسَرَّةُ بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدَّرك الأسفل من النار.

وأما العملي فهو خمسة أنواع.

والدليل: قوله ﷺ «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر».

الشَّرح

○ قوله: «وأما النِّفاق» وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفًا، يُقال: نافق ينافق منافقة ونِفاقًا، وهو مأخوذ من النَّافِقَاءِ أحد حجرة اليربوع، إذا طُلِبَ من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه، وقيل: هو من النَّفَقِ، وهو السَّرَب الذي يُسْتَتَر فيه لِسَتْرِه كفره[٢].

○ قوله: «فنوعان: اعتقادي وعملي».

---

(١) سقط من الأصل، وهي موجودة في الدرر السنية.

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٥/٩٧).

○ قوله: «وأما الاعتقادي» وهو الذي يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ «فهو ستة أنواع»:

الأول: «تكذيب الرسول ﷺ» كمن يعتقد في قلبه أن الرسول ﷺ كاذب فهذا كافر يُخَلَّدُ في النار، وتكذيب الله من باب أولى؛ فهو أعظم.

الثاني: «أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ» كمن كَذَّبَ بالصلاة أو الصوم فهذا يكفر.

الثالث: «بغض الرسول ﷺ» فمن حصل منه بغض لرسول الله ﷺ فهو كافر بالله العظيم.

الرابع: «بغض ما جاء به الرسول ﷺ» فمن أبغض هذا الدين الذي بلغه رسول رب العالمين عله الصلاة والسلام، أو أبغض بعض ما جاء به النبي ﷺ فهو كافر.

الخامس: «أو المَسَرَّةُ بانخفاض دين الرسول ﷺ» كمن يُسَرُّ ويَفْرَحُ إذا ضعف الإسلام أو المسلمون، أو حصل للمسلمين نكبات أو هزيمة، فهذا دليل على أن في قلبه نفاق.

السادس: «أو الكراهية لانتصار دين الرسول ﷺ» فإذا أعزَّ الله الإسلام والمسلمين وقوي أهل الخير والصلاح والذين يحفظون القرآن والدُّعاة والمصلحون كَرِهَ ذلك، فدلَّ على كفره ونفاقه.

○ قوله: «فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدَّرك الأسفل من النار» فالنفاق الاعتقادي وهو النفاق الأكبر لا يغفره الله إلا التوبة، فهو يخرج من الإسلام، ويحبط جميع الأعمال، ويوجب لصاحبه الخلود في النار في دركها الأسفل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

○ قوله: «وأما العملي» فهي معاصي تُضْعِفُ الإيمان، ولكنها لا

تُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ «فهو خمسة أنواع»، وذكر منه ﷺ خمسة أنواع في الحديث الآتي.

○ قوله: «والدليل: قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»[١] «**إذا حَدَّثَ كذب**» يعني: ديدنه الكذب في الحديث، «**وإذا وعد أخلف**» عادته أن يُخْلِفَ الوعد، «**وإذا اؤْتُمِنَ خان**» فإذا أَمَّنْتَهُ يخون الأمانة، «**وإذا خاصم فجر**» إذا كان في خصومة يفجر فيها، «**وإذا عاهد غدر**» يغدر في العهود، فهذه مِنْ علامات النِّفاق العملي.

ومنها **أيضًا**: تأخير الصلاة عن وقتها.

ومنها: نقر الصلاة كنقر الغراب، في «صحيح مسلم»[٢] عَنْ الْعَلَاءِ ابْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ وَدَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ الْعَصْرَ؟»، فَقُلْنَا لَهُ: «إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ»، قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ، فَقُمْنَا فَصَلَّيْنَا فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**».

ومنها: أن يموت ولم يَغْزُ ولم يُحَدِّث نفسه بالغزو، في «صحيح مسلم»[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**».

---

(١) جمع المصنف ﷺ بين حديثين لابن عمر رضي الله عنهما.
أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب «علامة النفاق»، رقم (٣٤)، وكتاب المظالم، باب «إذا خاصم فجر»، رقم (٢٤٥٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، رقم (٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٢٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، رقم (١٩١٠).

وهناك أنواع أخرى كثيرة، لكن هذه أهمها.

○ قوله: «نعوذ بالله من النِّفاق والشِّقاق وسُوء الأدب، والله أعلم».

وَفَّقَ الله الجميع لطاعته، وثَبَّتَ الله الجميع، وصلى الله على نبينا وسلم.



الخاتمة

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

«نعوذ بالله من النِّفاق والشِّقاق وسُوء الأدب، والله أعلم».

الشَّرح

ختم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة بالدعاء أن يعيذه الله من النفاق والشقاق ـ الذي هو الاختلاف ـ وسوء الأدب، فمن اعاذه الله أن يعيذنا من النفاق والشقاق وسوء الأدب، وأن يثبتنا على الهدى، وأن يغفر للمؤلف ويجزيه خيرا، وأن يوفق الجميع لطاعته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ والفوائد

رقم الصفحة

الموضوع

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

